٢١ الكلمة الأخيرة . . لمن ؟

تحملت مصر هذا كله .

وأصبح هذا الماضى بعض تاريخها . . أو صفحات من تاريخها .

ولقد ترددت فى نشر هذه الصفحات ، ولكنها وثائق ملك الأجيال ، وهى وحدها صاحبة الحق فى الحكم عليها .

كل ماستطعت أن أحجبه هو الحياة الخاصة . .

رفضت أن أنشر عنها كلمة واحدة . . وعف القلم عن النزوات الشخصية للجميع !

وكنت أحياناً أتساءل :

– هل يجوز أن يقال إن زعماء مصر كانوا حائرين لايعرفون أين يتجهون . .

. . أيتجهون للملك ليساعدهم على التخلص من الإنجليز . . أم للإنجليز ليخلصوهم من الملك أولا . .

* * *

وأعترف بأن الحيرة أخذتنى فترة من الزمن . .

إن هؤلاء الزعماء لايستطيعون الرد . .

ربما كانوا يكذبون على السفير . . يحاولون استمالته فى صفهم ضد الملك .

ربما كان السفير يبالغ فى الصورة التى ينقلها إلى لندن . . يريد أن يبين أن قادة مصر كانوا دائماً بين أطراف أصابعه . . وعلى أبواب سفارته . . يحركهم كالدمى . . ويستقبلهم عندما

يريد . . ويلفظهم حينما يشاء .

ولكن التاريخ يكتب دائماً ، أو فى غالب الأحيان ، بعد أن يحجب الموت أبطال الرواية . . ولا يبقى للزمن إلا المذكرات وقصص الحياة التى يكتبها أصحابها .

ومعظم الزعماء أبطال الحوادث فى مصر لم يكتبوا مذكراتهم عدا الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، ونشر إسماعيل صدقى وصليب سامى صفحات من مذكراتهما . ولكن ذلك كان قبل الثورة وخلال العهد الملكى . ونفوذ الإنجليز ، وهى بذلك مذكرات غير كاملة أو ليست صريحة كما يجب !

ولم أجد إلا شهادة بعض الزعماء أمام عبد اللطيف محمد ، رئيس محكمة الجنايات ، وهم يشهدون فى قضية أمين عثمان .

كلهم تبرءوا من السفارة . . وكلهم – لأن الملك فى أثناء تلك المحاكمة على قيد الحياة . . والملكية هى نظام الحكم فى مصر – وقفوا مع الملك . . ولهم بعض العذر من زمانهم . . ومكانهم . . ولكن ليس لهم العذر أمام مصر . وأمام التاريخ !

وكانت الشهادة مقصورة على أحداث ٤ فبراير وحدها . . سرى قال إنه لايعلم . . والنحاس أكد أنه لم يكن يعرف . . وعلى ماهر يتهم حسنين بأنه كان يعرف أن الدبابات البريطانية ستجىء ، والسفير البريطانى يصور رعب حسنين ويشبهه ورجال القصر بالدجاج المذعور ! !

* * *

إن برقيات السفير البريطانى . . ومداولات مجلس الوزراء البريطانى وحكومة الحرب فى لندن ليست أحكاماً نهائية ضد أحد . . ولقد حرصت بالنشر ألا يكون ذلك لمصلحة أحد . . ولست أريد أن أدافع عن أحد . . إلا مصر .

إن هذه وثائق نشرت بعد أكثر من ٣٠ عاماً من أحداث الرواية ، وهى تلقى الضوء على فصول من تاريخ مصر . . فمن سوء حظ مصر أن أمورها منذ عام ١٨٨٢ حتى ١٩٥٢ كانت فى يد بريطانيا وممثليها ومندوبيها الساميين . . أى منذ بدأ الاحتلال الإنجليزى لمصر .

وأمنيتى أن تعاد كتابة تاريخ مصر فى ظل هذه الوثائق . . وغيرها . .

وهذه مهمة الجامعات ومركز الوثائق المصرى . .

ولن ننتصر فى أى معركة إلا إذا عرفنا تاريخنا .

وإنى أدعو الذين عاصروا هذه الأحداث ليتكلموا . . وأن يكتبوا بعد نشر هذه الوثائق قصة ماجرى من وجهة نظرهم .

ولا يجب أن ننسى أنه خلال تلك الأحداث . . وفى أثناء انشغال ملك مصر وزعماء مصر بالصراع على السلطة كانت إسرائيل تحرص على أن تأخذ ثمن مساعدات تافهة قدمتها لبريطانيا . . وبعد الحرب كانت إسرائيل فى بداية التكوين الحقيقى الرسمى .

* * *

إن كل برقية قرأتها أقنعتنى بأن كل زعماء مصر كانوا خلال تلك السنوات راغبين فى الحكم . . ويعتقدون بأن الحكم هو سبيلهم لتحقيق الأهداف العليا . . وقد تحققت – من غير شك – خطوات على طريق الاستقلال ، أو على طريق الإصلاح . . ولكن كل ماتحقق – كما كشفت البرقيات – كان يدور فى فلك السياسة البريطانية ، باعتبار أنه شىء ضرورى لاستمرار الاحتلال بطريقة أو بأخرى . . أو بواسطة الزعماء المصريين . . ومن خلال استقلال صورى .

وكان زعماء مصر فى حيرة بالغة ، لايعرفون أبعاد اللعبة التى يدورون فى فلكها . . لايدركون أنهم يتحركون فى ظل خيوط العنكبوت البريطانى . . والتاج المصرى وصاحبه الذى كان فى صراع مع السفير ، يريد أن يأخذ من مصر حصة أكبر لنفسه لا للسفير . وعندما رأى الملك الإنجليز يهددون ويتوعدون استسلم ، فقدم قصره فى رأس التين ليكون مستشفى للإنجليز . . وقدم «كتفه» ليضع عليها شارة الجنرال البريطانى . . ورضى من الغنيمة المصرية بأن يكون رئيس الوزراء – أحياناً – على هواه . . يحقق له مايريد . .

لقد استفاد الملك بآخر فرصة منحها له الإنجليز ليبقى على العرش . . وخسر آخر فرصة ليبقى – فى ظل الشعب – على العرش .

وتكررت لعبة الاستغاية طويلاً بعد سنة ١٩٤٤ .

جاء النقراشى وصدقى والنحاس وعلى ماهر ليجلسوا على كرسى رئاسة الوزارة . . تبعاً للقاعدة المرعية فى لعبة الاستغاية . . وهى أن تتم اللعبة بالتناوب مرة لمصلحة الإنجليز . . ومرة لمصلحة الملك . وفى قليل من الأحيان لمصلحة الشعب ليتولى حزب الأغلبية الحكم .

ولكن حزب الأغلبية تغير بعد تلك الأحداث . . أو هزم نهائياً فى تلك الأحداث .

* * *

قصر بالزعماء جميعاً . . جميعاً . . التفكير ، والمدى والخيال ، والإدراك السياسى . وكان شعب مصر أبعد نظراً من كل زعمائه وقادته وأحزابه .

إن شعب مصر لم يكن فى حيرة من أمره قطّ . .

كانت هذه الفترة – بكل ماحوته – وقوداً يصهر هذا الشعب فعرف طريقه . .

ورأت مصر مناضلين من أفراد الشعب . . من كل طوائفه وهيئاته . . نقاباته وعماله . . موظفيه . . مفكريه . . رجال صحافته . . ضباطه وجنوده . . يهتفون لمصر ويموتون فى سبيلها .

وكانت هذه الفترة القاتمة المظلمة عاملاً حاسماً فى إعادة تشكيل التفكير السياسى المصرى .

لم تعد لعبة القوى الثلاثية مجدية . . أو هدفاً لأحد . . ملت مصر «الاستغاية» بدورانها المتكرر . .

وكان لابد أن يطاح بهذا كله . . وتقوم ثورة .

* * *

ولم تكن الثورة قاصرة على مصر وحدها . .

إن كيلرن فى أثناء الحرب كان سفيراً لدى ٣ ملوك و ٣ حكومات استقرت فى القاهرة فى ذلك الوقت .

كان فى القاهرة ملوك مصر . . واليونان . . ويوغوسلافيا . .

وبرغم اختلاف الأسباب والبواعث التى أدت إلى الإطاحة بالملوك الثلاثة . . والنتائج التى ترتبت على ذلك فقد عزل ملوك مصر . . واليونان . . ويوغوسلافيا الذين كان يتحدث إليهم كيلرن . . أو يفرض عليهم كيلرن أوامره . . فإن الدبلوماسى البريطانى لم يحاول قطّ أن يصل إلى الأعماق . كانت القوة الظاهرة . . والزعماء الذين يجلسون على قمة السلطة هم هدفه الأول والأخير . . إذا امتثلوا لإرادته فرح . . وإذا عارضوه استعان بالقوات البريطانية .

ونجده بعد فبراير يقرر بين الحين والحين الاستعانة بالجيش البريطانى للإطاحة بفاروق ، فقد استمرت اللعبة . . وخضع فاروق للتهديد فى كل مرة ولم يقاوم قطّ .

* * *

وبعد فإن كل هذه الصفحات تاريخ بعض حكام مصر .

ولست أدرى حتى الآن أى تعريف أطلقه على هؤلاء الحكام . .

هل كانوا خونة لأنهم يستعدون الإنجليز على بعضهم بعضاً . . ويستعدون الإنجليز على الملك ؟ !

إن كلمة الخيانة صعبة قاسية ، ولايجب أن تطلق جزافاً .

إنهم – فقط – كانوا يعرفون أن السفير البريطانى هو الحاكم الحقيقى لمصر . . ومادام جيش الاحتلال قائماً فلابد من الرجوع للسفير ، واستعداء السفير . . ومساومة السفير ! . . هذا هو أسلوب الحكم والسياسة فى عصرهم . . السفير هو أحد أركان العهد . . أو

الركن الرئيسى فيه . . والتعامل معه هو جزء من المناورات السياسية . . وهو شىء لانعرفه ومن الصعب أن نحكم عليه الآن . . أو ندينه الآن . . بعدما تغيرت الظروف . . وإذا لم يكونوا خونة . . وكانوا واقعيين فمن الواضح أنهم ليسوا أبطالاً على الإطلاق .

* * *

ومن المؤكد أنهم لم يكونوا على المستوى المثالى العالى للوطنية .

لم يترفعوا قطّ . . ولم يرتفعوا قطّ إلى الدور الذى كنا نأمل أن يكونوا فيه . . لم يصلوا قطّ إلى المقام الذى وضعهم فيه الشعب . .

ولم يستطيعوا تحقيق الآمال الشعبية العظيمة .

كانوا يريدون خلال فترات وصولهم إلى الحكم . أن ينتزعوا من السفير . . قانوناً . . أو عدة قوانين . . بعض مزايا للعمال أو للفلاحين ، تمصير بعض الشركات . . ولا أقول التأميم .

وكانوا يريدون من السفير أن يعطيهم الفرصة ليحققوا لهذا الشعب بعض التقدم .

من غير شك كانت هذه بعض أعمالهم . . وكانت أمنياتهم لمصر – من غير شك – أكبر من قدراتهم . . وأبعد من عزائمهم .

إنهم أخطئوا لأنهم كانوا ينسون . . أويتجاهلون أن هدف السفير أن يبقى هذا الشعب فى إطار معين يخدم مصالح بريطانيا . . ويتحقق من خلال هذا الإطار تتابع الوزارة للجميع . . حتى يظل الجميع يأملون خيراً من السفير وحكومته !

إن هذه الوثائق تصور للجيل الجديد حقيقة واحدة . . وهى كيف كانت تحكم مصر؟ هذا الكتاب لايقول أكثر من هذه الحقيقة . ولايهمس بأقل منها .

إنه يقولها بوثائق مدوية . . مفزعة . . مؤلمة ورهيبة أيضاً .

إنه يسلط الضوء الكاشف على أسلوب الحكم فى مصر خلال عهد أطلقنا عليه عهد الاستقلال .

والتفسير الصحيح لهذا العهد أن سيف الحاكم كان مصرياً ، ولكن اليد القاطعة . . أجنبية دخيلة . . كان يجب أن نشير إليها ولانبقيها خافية عن الناس ثلاثين عاماً أو تزيد ، حتى تنطق بها أوراق ووثائق ينشرها مركز الوثائق البريطانية فى لندن كل حين .

كانت هذه مسئولية الزعماء . . ولكنهم عجزوا عن أن يقولوا للشعب إن السفارة هى التى تحكم . . أو هى الحاكم الحقيقى !

* * *

ولا توجد كلمات من خلال الوثائق أستطيع بها أن أضع نهاية هذا التاريخ السرى لمصر . !

لاتستطيع الوثائق البريطانية أو غيرها أن تضع خاتمة لحياة هذا الشعب . . أو لكفاح هذا الشعب .

سيبقى الشعب المصرى يفرض تاريخه المتجدد على مر الزمن الخالد على امتداد النيل – فهو شعب قادر على العطاء . . يستطيع أن يصنع أبطاله . . ويقدر عند الضرورة على أن يرفع فوق كل الرءوس شهداءه .

* * *

ولن ترضى هذه الصفحات قارئاً كان فى يوم من الأيام حزبياً . . فهى تدين كل الأحزاب .

وقد يحس بعض القراء بغصة . . بمرارة . . أو بأسى ولكن الشعوب العظيمة هى التى تقرأ ذلك التاريخ السرى وهى تعلم أنها لن تملك القدرة على تغيير الماضى . . ولكنها تملك الأمل والعمل على صنع المستقبل الأفضل . . والتاريخ الأكثر رواء . . وبهاء . . ونقاء .

والهدف فى النهاية . وهو الهدف الوحيد . . المستقبل المشرق . لمصر الخالدة . .

ولسنا نريد من الإحساس بالمرارة . . إلا أن يدفعنا للعمل .

وبقدر ما يكون العمل قويًا . . وصادقاً . . سيكون التاريخ الجديد . . لمصر .

PUBLIC RECORD OFFICE

Reference:-

COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on.]

[CYPHER] WAR CABINET DISTRIBUTION.

FROM: EGYPT.

FROM CAIRO TO FOREIGN OFFICE.

J 506

JAN 1942

Sir M. Lampson
No. 423.
30th January, 1942.

D. 2.40 a.m. 31st January, 1942.
R. 5.05 a.m. 31st January, 1942.

JJJJ

IMPORTANT.

My telegram No. 389.

I impressed upon Hassanein today the importance of getting through our two desiderata at the Palace. In King Farouk's interest it was essential that this should come about within a reasonable period, I hoped shortly and if possible spontaneously; for otherwise troubles still lay ahead. Hassanein did not pretend it was going to be easy and feared rough methods of the Prime Minister; but I got him to agree to do his best.

2. Later I saw the Prime Minister and acted on your telegram No. 491. He asked what we would regard as a reasonable period and suggested he should leave the matter until after King Farouk's birthday on February 11th. As this is barely a fortnight hence I agreed to report it to you. I should be prepared to accept this on condition that dismissal takes place by February 15th. But in that case we must be prepared to see it through. Do you agree?

3. The Prime Minister welcomed my intervention which he hoped might be helpful.

IMDIV.

إنذار لملك بطرد الإيطاليين من القصر بعد عيد ميلاده

PUBLIC RECORD OFFICE
4/527
COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

[CYPHER] WAR CABINET DISTRIBUTION.

FROM CAIRO (AMBASSADOR) TO FOREIGN OFFICE.

Lord Killearn.
No. 721.
12th April, 1944.

D: 11.18 p.m. 12th April, 1944.
R: 11.55 p.m. 12th April, 1944.

300

MOST IMMEDIATE. 5 5 5

King Farouk summoned me this afternoon...?

2. He read and handed me memorandum of which text is given in my immediately following telegram.

3. His Majesty followed this up with the following verbal declaration which I took down at his dictation:

[Begins]

"For the first time with this new government at the head of which is going to be a man known to be a friend of yours and of the British, I feel that it is more [sic ?now] possible to put an end to all misunderstandings between us and start with a new page and put once and for all our relations on the basis of mutual understanding." His Majesty added that he and I had crossed swords in the past; hence the above declaration.

4. Elaborating the above (our conversation was throughout on a most amiable basis on which I purposely kept it) His Majesty said it came to this:

There could not be two Kings of Egypt (I hurriedly interpolated to his considerable amusement that we had already found one was quite enough !).

5. I made it clear forthwith that I was not prepared to make more than purely preliminary comment.

6. My first:

That it was a pity His Majesty had faced us with this bomb-shell without preliminary warning through Hasanein or otherwise. That it might in the event have proved to make His Majesty's position easier had he known our view in advance.

7. My second:

That whilst no Egyptian Government or Prime Minister was perfect, the present administration had admirably fulfilled their role of loyal war-time ally and to our complete satisfaction: and when others were waivering they had robustly

[? grp: omitted]

PUBLIC RECORD OFFICE
Reference: F.O. 371/41527
COPYRIGHT - NOT TO BE REPRODUCED PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION

J 1393

[This telegram is of particular secrecy and should be retained by the authorised recipient and not passed on].

[CYPHER] WAR CABINET DISTRIBUTION.

FROM CAIRO (AMBASSADOR) TO FOREIGN OFFICE.

Lord Killearn.
No. 760.
18th April, 1944.

D: 2.24 p.m. G.M.T. 18th April, 1944.
R: 4.55 p.m. B.D.S.T. 18th April, 1944.

5 5 5

MOST IMMEDIATE.

My telegram No. 759. J 1385/31/16

I saw King Farouk at 1.45 p.m. today and gave him the Prime Minister's message, leaving him a copy in full.

2. I remonstrated with His Majesty for having broken his definite pledge to me through Hasanein on Saturday evening that he would take no action before seeing me again and learning the views of His Majesty's Government. His Majesty admitted his pledge, but argued that circumstances had forced his hand. The news had got out (he did not blame us for that) and it had become imperative to act immediately as Nahas Pasha was due today in Alexandria where there would be a repetition of his Upper Egypt performance.

3. I observed that this seemed on the face of it to be jumping to conclusions ahead of events. Anyway I must [gro: undec: ? warn] him formally of the unwisdom of hasty action before knowing the views of His Majesty's Government which might reach me at any minute now. And I drew his special attention to paragraph 6 of the Prime Minister's message.

4. His Majesty said that he would ponder this message and would send me an answer within the next hour.

5. I warned His Majesty that, as stated in the Prime Minister's message, I should forthwith be getting in contact with Nahas Pasha and warning him once more against any provocative actions.

6. On my way out, I saw Hasanein Pasha and repeated the same language to him.

O.T.P.

Anglo-Egyptian Relations FILE COPY

Indexed

AIRGRAM

SECRET

Despatched OCT 25 1944

FROM:
Cairo Legation
October 25, 1944

REC'D.

Secretary of State,
Washington.

A-583, October 25, 1944, 10 a.m.

For Wallace Murray.

I lunched with Mr. Eden yesterday at the British Embassy. He has stopped over a few days in Egypt while Churchill proceeded to London.

Eden appeared only moderately satisfied with the results of the Moscow visit and admitted that the Polish question remained an extremely intricate one and that there was much to be done before even a partially satisfactory solution could be reached.

As regards Egypt, he expressed confidence in the Ahmed Maher Government and, while admitting a personal liking for Nahas Pasha, he believed that the former Prime Minister, who was himself honest, had become the victim of his unsavory entourage and that a state of affairs had consequently developed which made it impossible for his régime to remain in power.

Nuri el-Said, the former Iraqi Prime Minister and delegate to the recent Arab Union conference in Alexandria, was also a guest at luncheon. To him Eden expressed himself forcefully on the question of the negotiation of the proposed treaties between Syria and Lebanon and the French Provisional Government. Nuri defended the attitude of the Levant Governments in refusing to negotiate such treaties,

stating

stating that it could never be admitted that France had a right to a position of privilege in the Levant States. Syria and Lebanon, he said, had had past experience with the French and realized only too well the real implication of such treaties. Eden's arguments were much along the same lines as those set forth by Spears to Wadsworth, and as reported in the latter's confidential telegram 190 of September 15. Eden also indicated that the British Government wished to bring an end to the situation in the Levant States and that it was felt that the mandate could best be terminated by means of a treaty. He believed that the French would be moderate in their demands. "Above all", he said, "I don't want any more trouble there. We have plenty of troubles of our own in other parts of the world."

In conversation with me, Eden happened to mention that he was being received that afternoon in audience by King Farouk. I took occasion to offer, as a personal opinion, that I felt that a good deal could still be done to guide this young man along the path of wisdom. Destiny had sent him to rule over Egypt and I felt very strongly that no opportunity should be lost to help him in his most difficult task. I reminded Eden that the harsh treatment which former British Proconsuls had meted out to the Khedive Abbas Hilmi (who years ago had returned as a boy to rule in Egypt) had only resulted in making of him a confirmed and bitter Anglophobe. I therefore believed that every effort should be made to win the King over completely to the United Nations' side. I was glad to say, in this respect, that his attitude was very favorable to the United States. Eden agreed but reminded me that only a few years ago, when the military situation in Egypt was intensely critical, the young King had been subjected to strong Italian influence at that time and had been almost openly pro-Axis in his sentiments.

Eden referred with pleasure to the cordial relations which existed between the British Embassy and this Legation and which he was glad to learn were also maintained between the British senior military officials in Egypt and Major General Giles. I thanked

him

him for these references and reminded him that the American diplomatic representative in Cairo often found it necessary to indulge in some pretty fancy tightrope walking.

Eden is leaving today for a brief stay in Athens and after one night in Rome will visit General Alexander's headquarters in northern Italy before returning to London.

Repeated to Beirut and AMPOLAD, Caserta.

TUCK

SPT/lw

وثيقة أمريكية أخرى عن رأى إيدن فى الملك فاروق